

حدث العزة في غزة

ذروة سنام الصمود فالمجد

كلمات عدة تتردد في أدبيات علم الاجتماع : الحس العام - الضمير الجمعي - المخيال العام - الشعور الجمعي - روح الجماعة - وجدان الأمة إلخ .

هل هذه الكلمات مترادفة أم أن لها مدلولاً واحداً ، وإذا كان الأمر بالإيجاب ، فما المقصود من ذلك ؟ وهل يمكننا تحديد - وبشكل علمي قاطع - الضمير الجمعي العربي - وجدان الأمة ، بوصفه ذلك العامل الروحي الإنساني الحضاري ؟.

يقول أحد المفكرين : " والواقع أنه - أي الفعل الاجتماعي - يفترض من أجل إنجازه أن يندمج كل سلوك فردي في عمل يحمل طابع الاستمرارية وأن تنتظم التصرفات وتتجاوب بعضها مع بعض طبقاً لقواعد ضمنية مستتصرة ، حسب ماينتظره كل منها من الأخرى ، وبعبارة أخرى فإن الممارسة الاجتماعية ، بوصفها تنتظم شتات تصرف الأفراد وتوجهه نحو أهداف مشتركة ، تفترض وجود بنية معقدة من القيم وعمليات التعيين والاندماج المحمل بمعان ودلالات كما تفترض لغة رمزية - شيفرة - اجتماعية ومستتصرة .

ليست هناك أية ممارسة اجتماعية يمكن إرجاعها فقط إلى عناصرها الفيزيائية والمادية ، ذلك لأنه لما يشكل جوهر الممارسة الاجتماعية أنها تسارع إلى التحقق في شبكة من الدلالات يتم فيها استيعاب وتجاوز الطابع الجزئي للتصرفات والأفراد واللحظات ، ومن هنا فإن كل مجتمع ينشئ لنفسه مجموعة منظمة من التصورات والتمثيلات ، أي مخيالاً ، من خلاله يعيد المجتمع إنتاج نفسه ، مخيالاً يقوم ، بالخصوص ، يجعل الجماعة تتعرف بواسطته على نفسها ، ويوزع الهويات والأدوار ويعبر عن الحاجات الاجتماعية والأهداف المنشودة .

والمجتمعات الحديثة مثلها ، مثل المجتمعات التي لاتعرف الكتابة ، تنتج هذه المخاييل الاجتماعية ، هذه المنظومات من التمثيلات ، ومن خلالها تقوم بعملية التعيين الذاتي ، تعين نفسها بنفسها وتثبت على شكل رموز معايرها وقيمها " ¹ .

ويقول باحث آخر : " بقيام الجماعات البشرية بإنشاء معانٍ ودلالات مخيالية اجتماعية ، تتمكن من إعطاء معنى لكل ما هو موجود ، لكل مايمكن أن يقوم فيها أو يقوم خارجها ، وأيضاً فبفضل هذه المعاني والدلالات المخيالية الاجتماعية تقوم الجماعات البشرية بتدشين العمل التاريخي وتنشيطه ...

إن كل مجتمع يقدم نفسه للرؤية ، لرؤية الآخرين له ، من خلال الصورة التي يكونها عن نفسه ، فمن خلال هذا الموشور يرى الآخر ويصدر عليه حكماً ، سواء أكان هذا الآخر وحشياً أم متحضراً ، كافراً أم مؤمناً ، وهذه التمثيلات والتصورات المخيالية تمارس سلطتها ليس في ميدان التصور وحسب ، بل أيضاً في مجال الفعل الاجتماعي الذي تقوم به كل جماعة بشرية قائمة تعرف نفسها من خلال المقارنة مع الآخرين " ² .

وإذا أردنا تبينة هذا الموضوع في نظام قيمنا قلنا : إن مخيالنا الاجتماعي العربي هو الصرح الخيالي الملبيء برأس مالنا من المآثر والبطولات وأنواع المعاناة ، الصرح الذي يسكنه عدد كبير من رموز الماضي مثل الشنفرى وامرئ القيس وعمرو بن كلثوم وحاتم الطائي وآل ياسر وعمر بن الخطاب وخالد بن الوليد والحسين وعمر بن عبد العزيز وهارون الرشيد وصلاح الدين والأولياء الصالحين وأبي زيد الهلالي وجمال عبد الناصر ..إضافة إلى رموز الحاضر والمارد العربي والغد المنشود... إلخ ، وإلى جانب هذا المخيال العربي الإسلامي المشترك تقوم مخاييل متفرعة عنه كالمخيال الشيعي الذي يشكل الحسين بن علي الرمز المركزي فيه ، والمخيال

1 p.21 , 1977) , Presses universitaires de France (Paris : Ideologies,conflits et pouvoirs (Pierre Ansart ,

202 Claude Gillet , << les Lectures : Cours social et ecriture revele >> Studia Islamica, LXII, MLMLXXXI, pp.49-50

السني الذي يسكنه " السلف الصالح " خاصة ، والمخيال العشائري والطائفي والحزبي .. إلخ .¹

هكذا يتضح أن هذا الضمير يتألف من عنصرين : شكلي - رسمي - عضوي ، وآخر وظيفي : fonctionnelle داخلي ، هو هذه العناصر التي أشرنا إليها سابقاً : ألف ليلة وليلة - الرجل الصالح - عنتره بن شداد - الحسين - عبد الناصر الخ .

وبالطبع فهذا العنصر الداخلي الوظيفي دينامي متحرك وتاريخي يتمثل ويتجسد بين الحين والآخر في تجليات وتموضعات مثل انتفاضة 9 و10 يونيو في مصر عام 1967 ثم صمود شعبنا العربي في غزة ، وقبل ذلك مواقف شعبنا العربي في لبنان الشقيق ضد العدو الصهيوني وخاصة مقاومته الباسلة عام 2006 م .

وفي الواقع لو شممنا رائحة 9 و10 يونيو ورائحة مؤتمر الخرطوم ورائحة رحيل المرحوم عبد الناصر إلى ربه ورائحة الاعتداء الأخير على غزة ، لأدركنا العروة التي تربط بين هذه الأحداث ، وشممنا في الوقت نفسه رائحة الشعب العربي وعطره الفواح وأريج المنعش .

لقد انفجرت المشاعر الوطنية والقومية عقب نكسة حزيران 1967 طالبة الثأر والكرامة ، كما شممنا تلك الرائحة المأفونة المقيتة التي كانت تخرج من الجحور لتعرقل المد الشعبي وروح القتال ، ولتضع العصي في دواليب الانطلاق ، ونحن نسمع ونشتم حالياً تلك الرائحة المأفونة نفسها التي تنال من صمود أهلنا في غزة بلد الكرامة والعزة ، وفي كل ذلك لايني أو يتوانى المعوقون المرجفون القعدة أن يتذرعوا - نفاقاً - بمنطق الحكمة والمناورة والنفس الطويل والمراوغة والأسلوب غير المباشر بدلاً عن الصمود والتحدي والمواجهة ، انطلاقاً من بعض رواسب التخلف والاستكانة والقعود في تاريخنا .

¹ - د محمد عايد الجابري : العقل السياسي العربي - بيروت - مركز دراسات الوحدة العربية - ط4 - 99 - ص16

إن الجماهير العربية في مصر صرخت ونادت معلنة في يوم 9 و10 يونيو المواجهة والتحدي ، وأدركت مغزى العدوان على الثورة وتركيبها الشعبي والقيادي ، ومن هذا المنطق بدأ التفكير ، وفي قلبه وروحه ولبه أشرفت الحلول الصحيحة ، وانبثق التفكير السليم .

والجماهير العربية في مصر لم تخف عليها السلبيات التي تجرعتها ، لكنها استمسكت بالإيجابيات ، وتشبثت بها حتى الموت . هذا وننوه بأنه حين يتعالى المفكر عن إرادة الجماهير وانفعالية الجماهير يظن أنه ينشد صفاء الرؤيا والتفكير الهادئ ، وهذا هو عين الخطأ لأن انفعالية الجماهير وغضبها ليس كانفعالية الأفراد ، إنها انفعالية من نوع خاص ترقى إلى أعلى درجات التفكير الموضوعي والعلمي والحساب الدقيق .

ولا يخفى أن هؤلاء المعوقين ضنوا على شعبنا العربي في غزة بأبسط الأشياء ، ألا وهو عقد قمة للملوك والرؤساء العرب ، كما سدوا آذانهم - كما فعل أوديسيوس - بمصهور الرصاص ، لكي يشيحوا وجههم عن كل خبر يتعلق بغزة ، كل ذلك مقابل حركة الجماهير الهادرة المزمجرة ، وانفعالها الصاخب وألمها الممض .

ولا يمكننا فهم فكرة الانفعال العام للجماهير العربية ، إلا بربطها بفكرة الشعب العربي ، فالشعب هو ذلك الكائن الحقيقي الزاخر بالحركة الذي ينبع منه الرأي العام ، وأن ما يضيف على تيار ما من الأفكار أو المعتقدات أو على حركة مبنية على تصارع المصالح صفة الرأي العام ، ليس هو فحسب مصدرها بل أيضاً موضوعها .

فالرأي العام إرادة شعبية تحافظ على ما هو مرغوب فيه في الحدود الممكنة ، ومن ثم كان الرأي العام قبل كل شيء إرادة شعبية مدركة لمسؤولياتها ، فاهمة لوظيفتها الاجتماعية ، ولذا فهي تواجه المشكلات الاجتماعية والاقتصادية السياسية مواجهة السياسي المحنك الأريب الذي يفهم أن المطالب والاحتياجات

الشعبية إنما تترتك على الإمكان المنطقي لإيفائها أكثر من ارتكانها على القوة الغاشمة أو على الصيغ الأيديولوجية البراقة .

وهكذا يحجم الرأي العام عن تعريض الصالح المشترك الذي يقوم عليه النظام الاجتماعي للخطر أو الزعزعة ، فهو رأي تكون من انضمام مواطنين أحرار في نيتهم ممارسة حريتهم الفكرية على خير وجه لتوجيه النشاط الحكومي التوجيه الصائب السليم ، وليس لزعزعة النظام الذي يربط به صالحهم المشترك كل الارتباط ، ولهذا فالرأي العام وهو مدرك تماماً لقوته يضع نصب عينيه ألا يعرض المصالح الدائمة للجماعة للخطر بانتصار رنان عابر مؤقت .

فالرأي العام القويم إرادة شعبية حكيمة مستنيرة قادرة على أن تقود وتهدى ، وفي الوقت ذاته تقنع ولاتتهجم ، تعاون وتعاضد الحكومة في أدائها لمهامها مدركة لمشاق الحكم وصعوبته¹ .

وبيان ذلك أنه في حميّ المعارك يصب عود الشعب وإرادته وروحه وتصميمه على أخذ الثأر ، وإذا كان رسول الله ﷺ قد علمنا ، ألا نتمنى الموت ، فقد علمنا أيضاً أن ننشده جهاداً عادلاً ودفاعاً عن الأرض والعرض .

إن انتخابات العدو الأخيرة تؤكد بما لا يقبل الشك أن العدو يزداد توجهاً نحو الاعتداء والقتال ، وهانحن نسمع يوماً بعد يوم ولادة حزب جديد عدواني مبالغ في عدوانيته " حزب اسرائيل بيتنا " .

لقد أفصح الشعب العربي عن إرادته وانفعاله تجاه حدث غزة مستشعراً آفاق هذه التجربة وروحها وأبعادها ونتائجها ، مصمماً على القتال مدركاً إدراكاً بعيداً وعميقاً أن لافائدة ترجى إلاّ بكسر إرادة العدو وعتوه واستكباره مشيحاً وجهه عن أراجيف المرجفين والقعدة والمعوقين والمتخاذلين .

¹ - بوردو : المطول في علم السياسة ، باريس ، جزء 4 ص 113

إن صمود شعبنا في غزة وانتصاره يجب أن لا يورثنا الكسل والخمول والدعة والخلود إلى الراحة والسكينة ، بل يدفعنا إلى مزيد من رباطة الجأش والاعتزاز بالنفس والقوة والصبر وروح التمسك بالحق . إن الواقعية التي يتمسك بها عرب الإرجاف والتعويق والفرملة ، هي في الحقيقة واقعية وقوع ، إذ الفرق كبير جداً في أدب الصمود بين الواقعية والوقوع ، بين السلم والاستسلام .

إننا نشتم الرائحة العطرة تبوح وتفوح من حدث غزة المجيد ، كما سبق أن شممنا رائحة 9 يونيو ورائحة مؤتمر الخرطوم ورائحة يوم الرحيل والوداع للقائد الأب ، ونحن ندرك تماماً أن رأينا هذا ليس نتيجة انفعال حماسي أو نتيجة مخاطرة بلهاء اختارت الاصطدام المباشر دون الحلول الأخرى الممكنة والمحسوبة حساباً دقيقاً .

إننا ندرك جميع الجوانب المعقدة للصورة ، وندرك أنه إذا وجد هذا الإحساس على المستوى الجماهيري ، فينبغي الوقوف عنده وتأمله ، فالانفعال الجماهيري شيء والانفعال الفردي شيء آخر ، الانفعال الجماهيري العام شيء هام ، فهو لا يتكون بقصيدة شعر ولا بخطبة حماسية ولا بعامل وقتي ولا بحادث عارض كالهزيمة العسكرية ، بل هو ينشأ نتيجة تراكمات موضوعية على مسار تاريخ الأمة يتخطى العديد من المراحل الفكرية والانفعالية حتى يتبلور في شكله النهائي كقوة جماهيرية انفعالية ، لكنها واعية ومنطقية وموضوعية .

إننا نؤكد بمحض وعينا أن الانفعال العام في المجتمع هو الثورة بعينها ، والولادة بحقيقتها وذاتها ، وهذا الانفعال لا يتحقق بمجرد وجود العوامل الداعية للثورة كالفقر والتخلف والمظالم الاجتماعية ، بل حين تصبح الثورة ممكنة ، أي حين يعي المجتمع مشكلته ، وحين تصمم الإرادة الشعبية العامة على التغيير ، أي حين تجمع الجماهير العريضة صاحبة المصلحة في الثورة على إحداث التغيير الاجتماعي .

وإجماع الجماهير الكاسح على إحداث التغيير الاجتماعي لا يتم إلا نتيجة تفاعلات اجتماعية مختلفة ، هي الفكر الثوري والتنظيم الثوري والمخطط الثوري ، وفي النهاية النضج الثوري ، وهذا النضج هو ما يسمى بالانفعال الجماهيري ، أي تلك الحركة المنفعلة التي تقدم على العمل الثوري وتحدث التغيير .

فالانفعال الجماهيري إذن ليس هبة عاطفية كالتى تتوافر في الحياة الفردية ، وبالتالي فحين ننعته بالحماسة ونضعه في مرتبة الحماسة نقع في سذاجة مفرطة وجهالة مطلقة ، لأننا نقوم بقياس خاطئ للحياة الفردية على الحياة الجماهيرية .

وعلم الثورة الحديث ليس له دور أو وظيفة إلا تحقيق هذه الانفعالية على المستوى الجماهيري .

وكما أن للثورة الحديثة نظريتها العلمية ، كذلك فالثورة المضادة لها نظريتها ، وهي مقلوب نظرية الثورة ، أي أنها تستعمل نفس أدوات التحليل ، وتسلم بنفس القوانين الاجتماعية ، وتختار الطبقة المضادة للثورة وتستعملها ، وفي الوقت نفسه تسخر كل جهودها لتحقيق غاية مضادة ، أي لتفتيت الانفعال الجماهيري بصرفه في اتجاهات غير صحيحة .

وعمل الثورة المضادة ليس سهلاً ، ولا يمكن أن يتم في يوم وليلة ولا نتيجة لحادث عارض ، بل بنفس الطريقة التي تتم بها الثورة عملها من التراكمات الفكرية والانفعالية ، إلا أن عمل الثورة المضادة فيه - مثل كل ما في كل عمل زائف - عدم القدرة على الصمود طويلاً ، لأنه مضاد لمقومات الواقع الاجتماعي ولطبيعة القوانين الاجتماعية ومسارها التاريخي ، فهي في أحسن نجاحاتها تأجيل للثورة الاجتماعية .

والثورة المضادة شيء كامن وملازم للثورة ، فهي في جدل ديالككتيكي متصل مع الثورة ، وحين يتم الانفعال الجماهيري تنتصر الثورة ، ويبقى للثورة المضادة المقاومة ، ولا يمكن أن يتم انتصار

للثورة المضادة حين يتم هذا الانفعال الجماهيري إلا إذا كانت الثورة مجرد تغيير في مواقع السلطة .

فإذا وجد انفعال جماهيري عام بالمواجهة العسكرية ، فهذه هي الثورة في تمام نضجها ، وينبغي على قيادة الجماهير أن تطيع الجماهير وتلتحم بها وتزحف معها وتسير إلى جنبها .

وحين تحاول القيادة السياسية تفتيت هذا الانفعال الجماهيري تساعد - دون أن تدري - عمل الثورة المضادة أي تفتيت الثورة وتنفيسها ، وتصريفها في اتجاهات مغايرة .

وهذا غير ممكن لأن أقصى ما تستطيعه الثورة المضادة هي فرملة الثورة مؤقتاً وتعويقها وتبطئ حركتها ، وكثيراً ما يحدث في الثورات أن يتجه انفعالها الاجتماعي وجهة تراها القيادة الثورية غير صحيحة ، ولكن علم الثورة يطلب من هذه القيادة أن تخضع لهذا الميل وتسير معه وتحاول تصحيح الاتجاه في المسيرة ذاتها ، وليس هناك أكثر من التحذيرات التي أطلقت في هذا الصدد للقيادات الثورية بالألا تتجه وجهة مضادة لاتجاه الجماهير حتى لو كانت هذه الوجهة المضادة هي الصحيحة ، فالرسول الكريم ﷺ نزل عند إرادة الشباب ، وذلك بخوض معركة أحد وقرر القتال مع أنه بالأصل كان لا يرغب ذلك .

ومن الناحية العملية والتاريخية لم يحدث أن كان الانفعال الجماهيري العام في الاتجاه الخطأ في خطوطه العريضة والأساسية ، لأن هذا الانفعال لا يتحقق إلا بشروط موضوعية ، وبعديد من التراكمات المتبادلة بين الفكر والعاطفة بين الحساب الدقيق ودوافع الحركة .

لذلك تحتقر الثورة المضادة الجماهير وتزدرئها ، وتعتقد أن قوة الضغط العسكرية أو البوليسية هي العامل الحاسم مادام الانفعال الجماهيري لم يتحقق ، فإذا تحقق فإن جميع القوى تنهار أمامه ، وأعظم ما تستطيع أن تحققه الثورة المضادة من انتصار هو المزيد

من الحديث عن الحكمة ، وظهور العشرات من الحكماء المحنكين ، وترديد كلمة العلم والحساب الدقيق والتعقل وما إلى ذلك ، كأن انفعال الجماهير حماقة فردية ترتد إلى نزق شخصي .

إن الحكمة الحقيقية والعلم الحقيقي هو الإدراك بأن الوعي الجماعي مشروط بشروط حاسمة ويتحرك بميكانيزم غاية في الدقة يتضاءل أمامه أي حساب دقيق لعشرات من الحكماء الفرديين ، وهذا كله حقيقة ماثلة ومستقرأة من دراسة الثورات ، وتزخر به تجارب واكتشافات علم الثورة العالمية .

لقد أطلقت الجماهير الرأي الوحيد الصحيح واستمرار النضال ، وبالمقابل للحكماء أن يفسروا ظاهرة الانفعال الجماهيري العربي كما يشاؤون ، ولكن هذه الظاهرة هي الثورة ذاتها ، والحكماء يعلمون بأن هذه الجماهير ستتتحرك بتلقائية تفوق كل حساب عندما يحتاج الأمر إلى ذلك ، وبالفعل كان مخاض الأمة وكانت الولادة السليمة ، وكان يوم العزة يوم حدث غزة ، يوم الكرامة والصمود والتضحية ..

إن تحرك الجماهير العربية دعماً لأهلنا في غزة ليس تصرفاً عاطفياً محضاً ، بل هو إرادة الصمود والدفاع عن النفس والكرامة ، وعن الأرض والعرض ، إنه عمل طبيعي جداً لأنه الثورة بعينها .

إن هذا التحرك الواسع والعميق لشعبنا العربي هو من قبيل تلك الظواهر الكونية العظمية التي تحرك الأفلاك وتنظم ملايين الحيوانات في الكون بتلك النفحة المقدسة الكامنة التي من بعض مظاهرها أن تتفق نتائجها وتفصيلاتها مع الحساب الدقيق .

إن الثورة ظاهرة كونية مثلما هو انفلاق وانبلاج نور الصباح ، فهي في الحياة على مختلف درجاتها وأنواعها ، وهي في البشر وفي الكون ، ذلك القانون الأعظم الذي يرتقي بالحياة ، والذي يتخذ سبيله لتلك الحركة الراقية بالمناقضات ، ومن الظلام الكئيب والألم الممض واليأس المطلق تحدث الطفرة ، ويولد شيء جديد هو خطوة

عظمى إلى الأمام ، وهذا هو مغزى القول بحق إن إرادة الشعب من إرادة الله .

ولنا الآن أن نتساءل هل أراد الشعب في 9 يونيو أو في صمود غزة أن يدفع بلاء حل به ؟ .

ليس هذا صحيحاً ، بل هو جانب من المشكلة ، والقضية الأساسية هي كرامة هذا الشعب ، فما هو المقصود بكرامة الشعب ، وما هو دلالتها ومغزاها ومبتغاها ، ومقتضى أمرها ومرتها ؟؟

هنالك ذرى عديدة لسنام المجد في تاريخنا : اليرموك -حطين - عين جالوت - ميسلون - عدوان 56 على مصر ، وهناك خط واضح يربط هذه الذرى بعضها ببعض ليجمعها في وحدة تؤلف بينها وهي الدفاع عن المصير عن الشرف والكرامة .

إن الشعب العربي في مصر تمكن في وثبة من وثباته ، حين تكاملت عناصر ثورته أن ينفذ عن نفسه التبعية التي جثمت على أنفاسه قروناً ، وبقدر ثقل هذه القرون ووطأتها كانت انتفاضته ، فلم تستطع كل القوى الاستعمارية والقوى المضادة الأخرى بالأشكال القديمة والأشكال الحديثة أن تزحزحه عن هذه الانتفاضة ، ورغم خمسة عشر عاماً من التركيز الشديد والتواطؤ المبيت وتطبيق اكتشافات علم الثورة المضادة اخترق الشعب بثورته كل العقبات وخرج من كل المآزق وسخر من كل الغربان الناعقة والحكماء الذين يزنون الكلمات ، وفي الوقت نفسه كانوا يفزعون من تلك الكلمات الصاعقة التي كان يلقيها عبد الناصر في وجه القيادة العالمية للثورة المضادة ، والذين قالوا ما قالوا من أقاويل كان تخرس بعد كل انتصار ، فتنسب نجاحات الثورة إلى الحظ أو الخوارق أو القدر الأعمى لقد تقدم الشعب المصري في 9 يونيو وقال قولته الحاسمة بأن الكلمات التي خرجت من القيادات والقرارات التي صدرت عنها هي كلمات الشعب وقراراته ، وإن المعركة لم تنته ولن تنتهي إلاّ بمزيد من حق هذا الشعب في الوجود الحر الكريم وما حدث لغزة

رد على أعقابه بكل طاقة الثورة الكامنة ، حتى آخر قطرة ، حتى الموت الشامل ، وهكذا كانت غزة وقفة صمود واستبسال وتمسكاً بالحق وبالأرض والشرف .

والعدوان الامبريالي الاسرائيلي على غزة لم يمس الأرض والمصالح العربية بقدر ما مس هذا المعنى الإنساني ، ولذلك فصدده هو العمل الحاسم ، والمواجهة هي الشيء الوحيد الجوهرى هي السبيل لتأكيد الذات ، ولإطلاق طاقات الشعب إلى مالا نهاية في البناء والتقدم والارتقاء ، والثورة هي مواجهة التحديات هي فناء حتى الموت حتى يتحقق الوجود الإنساني ، ولذلك لا تتم الثورة إلا بأعلى مستوى للوعي الاجتماعى ، لأنها قدمت في غزة الروح فدية للمعنى الإنساني ، وثنماً لكيان جديد يتبلور فيه معنى كرامة الإنسان ، وهذا هو مدلول ذلك التأييد العالمى لصمود شعبنا في غزة .

وهذه الكرامة التي مات في سبيلها ثوار العالم ، دون أن تدفعهم حكومة أو تكرههم قوة هي التي قدمت من أجلها الأرواح في غزة ، وهنا يتحدد المعنى الحقيقى لحياة الإنسان وموته وشرفه ونبله . وإذا كانت الثورة كظاهرة كونية تقدم الحياة البشرية فدية لحياة أرقى ومعانى أرقى ، فكيف نحرص على منشآت مهما عظمت ، إن الحياة البشرية هي التي تبني ، والكرامة البشرية هي التي تبتكر وتبدع ، فإذا جرحت الكرامة فكيف تقوم مؤسسة ، وكيف يبتكر مجتمع ، بل كيف يمكن أن يحافظ على بعض ما أنشأه في لحظة الحياة الحقيقية ، مع أن العدو الصهيونى يدمر كل مؤسسة ويطمس إرادة كل فرد حى فلسطينية .

إن دعاة التعقل والحكمة يقتلون روح الشعب ليحتفظوا ببعض الجدران وبعض من قطع الحديد والحياة أغلى من ذلك بكثير ، فهي ليست خبزاً مأدوماً بالمذلة ، إذ ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان .

والذي يتآمر على روح هذه الأمة عليه بأن يتوقع أمة من
الحشاشين والسكارى والمنحلين ، كما عليه أن يتوقع في هذه
الأمة الكآبة والتخلف والدمامة .

ولكن قبل أن ترفع الأعلام فلنذكر هؤلاء المتآمرين بقولة المناضل
المرحوم الكواكبي بعد تعديلها قليلاً :

إن صيحة و غضب وانفعال الشعب العربي - ومظهرها الغضب من
أجل غزة - ليست صيحة في واد ، وإنما صيحة ستطيح حتماً بذي
الأوتاد .

الدكتور برهان زريق